الرسل السبعة

قصة بقلم
دينو بوتسايتي

بعد سفري لاكتشاف مملكة ابي ، كنت ابتعد يوما بعد يوم عن مدينتي ، والاخبار التي كانت تصلني كانت تقل باطراد .

بدأت رحلتي بعد مناهزتي الثلاثين من عمري ، وقد انقضت حتى الان ثماني سنوات واكثر ، وبصورة ادق ستة اشهر وخمسة عشر يوما امضيتها كلها في سير متواصل . وقد كان اعتقادي راسخا ، ساعة سفري ، باني سأصل بكل سهولة وفي غضون اسابيع قليلة الى حدود المملكة . لكني كنت التقي دائما بناس وأمر ببلدان ، واينما حللت كان هناك رجال يتكلمون لغتي نفسها ، ويقولون بانهم من رعاياي . وقد حسبت ان بوصلة تابعي الجغرافي قد جنت وبأني مع اعتقادي انا كنا في اتجاه الجنوب ، فقد كنا في الواقع ندور حول انفسنا ، دون ان تزيد المسافة التي تفصلنا عن العاصمة .. وكان بامكان هذا ان يفسر سبب عدم بلوغنا الحدود القصوى .

وكان الشك غالبا ما يؤرقني بأن هذه الحدود غير موجودة وبأن هذه المملكة ممتدة دون ان يحدها اي حد ، وبأني مهما سرت ، فلن استطيع ابدا بلوغ النهاية .

لقد شرعت مسيري وعمري يناهز الثلاثين ، متأخرا جدا ربما ، وكان اصدقائي بل حتى افراد عائلتي يهزأون من مشروعي مرددين بأنه هدر غير مجد لاجمل سني حياتي . وفي الواقع فقد كانوا قلة اصدقائي المخلصين الذين ايدوا الرحلة .

ومع اني كنت شارد التفكير ـ اكثر مما انا عليه الان ـ فقد شغلتني قضية الاتصال بأعزائي خلال الرحلة ، ولهذا فقد اخترت من بين فرسان تبعي افضل سبعة فرسان ليكونوا رسلي .

وكنت اعتقد بأني قد بالغت حين اخترت سبعة . لكني وبمضي الزمن كنت الحظ ، على العكس ، بأنهم كانوا وبصورة مضحكة غير كافين ، هذا مع ان احدا منهم لم يقع مريضا ولم يختطفه قاطع طريق ولم يجانب المسيرة ، كما ان سبعتهم قد خدموني باخلاص وبطريقة من العسير مكافأتها .

وقد لجأت ، لاجل التمييز بينهم ، لاعطائهم اسماء ذات بدايات ابجدية متتالية : اليساندرو ، بارتولوميو ، كايو ، دومينيكو ، ايتوري ، فيديريكو ، غريغوريو .

وبما اني لم اعتد ابدا البعد عن بيتي ، فقد ارسلت اولهم ، اي اليساندرو ، مساء اول يوم من ايام الرحلة .. وكنا عندها قد تجاوزنا الثلاثين عقدة . ثم اني وفي المساء التالي ، وكيما اضمن توالي اتصالي ، ارسلت الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع على التتابع ، وذلك حتى الليلة الثامنة من ليالي السفر والتي سافر فيها غريغوريو .. ولم يكن الاول قد عاد بعد . لكنه لحق بنا في الليلة العاشرة بينما كنا نعد المخيم للمبيت في واد غير آهل . وقد علمت من اليساندرو بأن سرعته كانت اقل من المتوقع ، وكنت قد حسبت بأنه اذا ما تقدم وحيدا وعلى صهوة حصان اصيل ، فقد يكون باستطاعته ان يتجاوز ، في نفس الوقت ، مسافة اكبر من المسافة التي قد نقطعها نحن بمرتين ، لكنه لم يتمكن من تجاوز المرة ونصف المرة ، وهكذا وفي يوم واحد ، وعندما قطعنا نحن اربعين عقدة ، كان هو قد التهم ستين ليس اكثر .

وقد حدث الامر ذاته مع الآخرين . فبارتولوميو الذي سافر في الامسية الثالثة من امسيات الرحلة ، لحق بنا في الليلة الخامسة عشرة . اما كايو الذي سافر في الليلة الرابعة ، فلم يلحق طريق العودة الا في الليلة العشرين . وقد تأكدت بسرعة بأنه يكفي ان اضاعف خمس مرات الايام التي مضت حتى ذاك الوقت كيما نعرف متى يمكن للرسول اللحاق بنا .

وكنا كلما ابتعدنا عن العاصمة كان طريق الرسل يصبح اطول مرة بعد مرة . وبعد خمسين يوما من المسير كانت المسافة الفاصلة بين وصول رسول واخر تتزايد بصورة محسوسة . وبينما كنت سابقا ارى واحدا منهم يصل المخيم كل خمسة ايام ، اصبحت هذه المدة تقرب الخمسة والعشرين يوما ، وهكذا فان صوت مدينتي كان يتزايد وهنا . وكانت تمر اسابيع كاملة دون ان احصل على خبر عنها .

وبعد ان امضيت ستة اشهر بحالها ـ وكنا قد عبرنا جبال القازان ـ اصبحت المسافة التي تفصل وصولنا عن

وصول الرسول اربعة اشهر كاملة . وقد اصبحت الاخبار التي كانت تأتيني اخبارا قديمة ، كما ان غلافات الرسائل كانت تصلني مجعدة مثنية واحيانا ملطخة ببقع الرطوبة نتيجة اثر الليالي التي كان يقضيها في العراء من كان يأتيني بها .

ولنمض اماما .. فعبثا كنت احاول اقناع نفسي بأن السحب الجارية فوقي انما هي مثل سحب طفولتي ، وبأن سماء المدينة البعيدة ليست مختلفة عن القبة الزرقاء التي تعلوني ، وبأن الهواء هو نفسه ، وهكذا نسمة الريح ، وبأن اصوات العصافير كلها متشابهة . لكن السحب والسماء والهواء والرياح والعصافير كانت تبدو لي ، في الحقيقة ، اشياء جديدة ومختلفة . وكنت انا اشعر بأني غريب .

وأماما أماما ، فالهائمون الذين قابلتهم في السهول كانوا يقولون لي بأن الحدود ليست بعيدة . ولذا كنت احث رجالي على الا يخلدوا للراحة، كما كنت اطفىء لكنات التردد التي كانت تعلو شفاههم . وكان قد مضى على سفري اربع سنوات .. فأي ارهاق متواصل !

★★★

لقد اصبحت العاصمة وبيتي وأبي ، وبصورة غريبة ، اشياء جد بعيدة ، حتى اني لم اكن لاصدق الامر . ان عشرين شهرا من الصمت والوحدة تمضي الان بين ظهور رسول واخر . لقد اصبحوا يحملون لي رسائل غريبة قد صفرها الزمن ، وكنت أجد اسماء منسية وأساليب كلام لا أعرفها وعواطف لا افهمها . وفي الصباح التالي ، وبعد ليلة واحدة من الراحة ، وبينما كنا في سبيلنا لمعاودة المسير ، سافر الرسول في الاتجاه المعاكس ذاهبا الى المدينة ومعه الرسائل التي كنت قد أعددتها له منذ وقت طويل .

ومضت ثماني سنوات ونصف ، ودخل دومينيكو هذه الليلة ، بينما كنت اتناول طعام عشائي وحيدا ، وما زالت لديه المقدرة على الابتسام رغم ان التعب كان قد حطمه . اني لم أره منذ سبع سنوات تقريبا ، وخلال هذا الوقت كان هو يركض عبر سهول وغابات وقفار ، ومن يعلم كم من المرات قد اضطر لتبديل حصانه ، كل ذلك كيما يحمل لي هذه الحزمة من الرسائل التي ليس لي اية رغبة حتى الان في فضها . اما هو فقد ذهب الان للنوم ، وسيعاود السفر مع فجر الغد .

انها سفرته الاخيرة . وقد حسبت في دفتر ملاحظاتي بأنه ، اذا ما سارت الامور على ما يرام ، واذا ما تابعت انا مسيري وهو مسيره كما فعل كل منا حتى الان ، فاني لن استطيع رؤية دومينيكو مرة ثانية الا بعد اربع وثلاثين سنة . وعندها سيكون عمري اثنين وسبعين . لكني بدأت اشعر بالارهاق ، ومن المحتمل ان يلحق بي الموت قبل ذلك . وهكذا فاني لن أراه ثانية على الاطلاق .

بعد اربع وثلاثين سنة (بل قبلها بزمن طويل) سيرى دومينيكو ، وعلى غير انتظار ، نيران مخيمي وسيتساءل عن سبب اني لم اقطع ، خلال تلك المدة ، الا مسافة هكذا قصيرة . وفي مساء كهذا المساء سيدخل الرسول الطيب خيمتي وفي يده رسائل صفراء من تعاقب السنين ، مليئة باخبار حمقاء عن زمن قد غمره النسيان. لكنه سيتوقف عند العتبة اذ يراني ممددا في مرقدي واثنان من الجنود وفي ايديهما مشاعلهما على جانبي وانا ميت

ومع ذلك فاذهب يادومينيكو ، ولا تقل لي اني قاسي القلب ، احمل سلامي الاخير الى المدينة حيث ولدت . انك انت الصلة الوحيدة المتبقية مع عالم كان في يوم من الايام عالمي ايضا . لقد جعلتني الرسائل الاخيرة ادرك بان اشياء كثيرة قد تغيرت ، بان ابي قد مات ، بان التاج قد ذهب لاخي الاكبر ، وبانهم يعتبرونني الان مفقودا وبانهم قد بنوا ابنية عالية من الحجارة هناك حيث كانت توجد اشجار القرمة الضخمة والتي كنت عادة العب تحتها. لكن ومع هذا فهو وطني انك انت الصلة بيني وبينهم يادومينيكو . اما الرسول الخاص ، ايتوري ، والذي سيلحق بي ، بمشيئة الله ، بعد عام وثمانية اشهر ، فهو لن يستطيع السفر بعدها لانه لن يستطيع الوصول .

بعدك الصمت يادومينيكو. هذا ان لم أجد أنا الحدود المبكية . لكني كلما غذذت المسير كلما ازداد اقتناعي بانه لا حدود لا توجد ، كما اشك ، حدود ذلك، على الاقل ، وفق المعاني التي اعتدنا التفكير من خلالها . اذ انه لاتوجد جدران فاصلة ولا وديان تقسم ولا جبال تمنع الخطو . ومن المحتمل ان اتجاوز الحد ودون ان الحظ ذلك وان استمر في التقدم وكلي جهل بالامر .

ولهذا فقد قررت، حالما يعود ايتوري والرسل الاخرون بعده، الا اتركهم يأخذون مرة اخرى طريق العاصمة ، بل ان اجعلهم يتقدموني ويسافرون امامي ، وهكذا اعلم وبصورة مسبقة ما هو بانتظاري .

ان قلقا لم اعهده يشتغل بي منذ زمن طويل كلما حل المساء ، انه ليس ، بعد ، ندما على الافراح البعيدة، ذلك كما كان يحدث اولى أيام الرحلة ، بل هو تعجل لمعرفة الاراضي المجهولة التي اتجه نحوها .

وقد بدأت ، الاحظ ـ ولم اسر بهذا لاحد بعد ـ قد بدأت الاحظ يوما بعد يوم ، وكلما تقدمت شيئا فشيئا نحو الهدف المستحيل ، بان نورا غير معهود ، لم يبد لي على الاطلاق ولا حتى في الاحلام ،يشع في السماء وهكذا فان النباتات والانهار والجبال التي كنا نقطع تبدو وكأن لها جوهرا مختلفا عن ذاك المعتاد ، كما ان الهواء يبدو وكأنه يحمل تباشير ونذورا لا ادري ماذا اسميها . ان املا جديدا سيحل بي صباح الغد وعلى مقربة من هذا المكان ،قرب تلك الجبال التي تحددها ظلال الليل .ومرة اخرى ساقوض المخيم ، هذا بينما يكون دومينيكو قد تلاشى في أفق الجهة المعاكسة ، حاملا لمدينة سحيقة البعد رسالة مني غير ذات نفع .

ترجمة نبيل مهايني